Studies in Spirituality - Weekly Torah Portions by Rabbi Lord Jonathan Sacks zt"l

في رِحاب التّوراة

دِراساتٌ وحِواراتٌ روحانيّة مُعمّقة في النّصوصِ التّوراتيّة الأسبوعيّة مع الحاخام جوناثان ساكس

Arabic Translation by *The Connecting Hamza NGO*
Sponsored by *The Sir Naim Dangoor Centre for Universal Monotheism, Bar Ilan University*

Jonathan Sacks
THE RABBI SACKS LEGACY

The Original text in English and translations to other languages can be found here:
Covenant & Conversation | Vaera | Spirits in a Material World | The Rabbi Sacks Legacy

"ڤايرَى" هو النصّ الأسبوعي الثاني من كتاب "شموت" (سِفر الخروج) ويبدأ هذا النصّ الأسبوعي بالآية الثانية من المَقطع السادس وينتهي بالآية الخامسة والثلاثين من المقطع التاسع.

أرواحٌ في عالمٍ ماديّ

Arabic Translation by *The Connecting Hamza NGO*

تتطرّقُ التّوراةُ أحياناً إلى موضوعٍ في غاية الأهمية لكن بأسلوبٍ يجعلُ الأمر يبدو وكأنه موضوعٌ هامشي لا قيمة له، وهنالك مثالٌ مناسب على مثل هذا الموقف في بداية هذا النصّ الأسبوعي. لقد قرأنا في النصّ الأسبوعيّ السابق كيف بعثَ اللهُ عزّ وجلّ نبيّهُ ورسولهُ موشيه/موسى ليقودَ بَني يِسرائيلَ نحو الحريّة، وكيف باءت مُحاولات موشيه بالفشل في بداية الأمر. في الوقت نفسه، لم يكتفِ فِرعون بعدم سماحه لبني يسرائيل بالخروج من أرض مصر فحسب، بل جعل ظروفَ عملهِم سيئة جداً، إذ كان ينبغي عليهم صُنع نفس الكمية من الطوب، لكن صار يتوجب عليهم أيضاً أن يصنعوا نفس الكمّية ويجمعوا التبن بأنفسهم. لاحِقاً بدأ بنو يسرائيل يشتكون إلى فِرعون ثم إلى موشيه الذي بدوره بدأ يرفع شكواهم إلى الله عز وجل، تبعاً لما تخبرنا به الآية الثانية والعشرون من المقطع الخامس من سفر الخروج: **"فرجع موشيه إلى اللهِ قائلاً: يا ربّي، لِمَ أبليتَ هؤلاء القوم، ولِمَ بعثتَ بي"**.

وفي بداية هذا النصّ الأسبوعي من نصوص التّوراة، يؤكّدُ الله عزّ وجلّ لموشيه بأنّهُ سيُخرجُ بني يسرائيل من أرض مصرَ ويحرّرهُم من العبودية، طالباً منه إيصالَ هذه الرّسالة إليهم. ثمّ تأتي الآية التاسعة من المقطع السادس لتقول لنا الآتي: **"ثمّ كلّم موشيه بني يسرائيل بذلك، ولم يَقبلوا منهُ، *من ضيقِ أرواحهم ومن خدمتهِم الصعبة*"**. في الحقيقة فإن الجُزء المكتوب بخطٍ مائلٍ من الآية يبدو في غاية البساطة، فبني يسرائيل لم يكترثوا بما قاله موشيه لأنه أوصلَ إليهِم الرسالة الإلهية قبل أن يفعَل أي شيء حتى يُحسِّن من أوضاع معيشتهم، لهذا كانوا مُنهمكين تماماً في الصّمود أمام تلك الظروف المعيشية القاسية ولم يكن لديهم الوقت لسماع وعودٍ طوباويّة خياليّة واهيةٍ بدت بالنسبة لهم وكأنها لا تستندُ على أي أساس واقعيّ. فكان من الواضح جداً بأن فشلَ موشيه في محاولته إيصال الرسالة الإلهية إليهم في الماضي جعلهُم مقتنعين بأنه سيفشلُ أيضاً في إيصالها مُستقبلاً.

لكن يوجدُ أمرٌ غامضٌ يَجري في الكواليس، فعندما التَقى موشيه بالله عزّ وجل خلال معجزة العليقة المُشتعلة، طلبَ اللهُ منه أن يقودَ قومهُ نحو الحُرّية، لكن موشيه رفض ذلك انطلاقاً من اعتقادِه بِأن قومه لن يُصغوا إليه، فهو لم يكن رجلاً مُتحدّثاً او فَصيحاً، كما كانت لديه مشاكل في النّطقِ، وتبعاً الآية الثلاثين من المقطع السادس من سِفر الخروج، فقد كان موشيه رجلاً **"ألثَغ الفمِ"**، بالتالي كان يفتقدُ للجُرأة والفصاحة اللازمتين لمخاطبةِ قومه، كما لم يكن بإمكانه إقناعهم لأنه لم يكن قائداً ذا قُدرةٍ على الإلهام .

لكن سُرعان ما يتّضح لنا لاحقاً بأن موشيه كان مُحقّاً ومُخطئاً في الوقت نفسه: فقد كان مُحقّاً بالنسبة لما قاله عن قومه وبأنهم لن يُصغوا إليه، لكنه كان مُخطئاً فيما يتعلّق بالسبب الكامنِ وراء عدم إصغائِهم إليه وتجاهلهم لرسالته، فَتجاهلُ بني يسرائيل لرسالة موشيه لم يكن سببه عدم تمتّعه بالشخصية القيادية، ولا ضعفُ مقدرته على مخاطبتهم والحديثِ معهُم على الملأ، فالأسبابُ الكامنة وراء ذلك بعيدة كل البعد عن موشيه وشخصيته. في الحقيقة، لم يُصغ بنو يسرائيل لموشيه لسبب واحدٍ: وهو أنه **"ضِيق أرواحهم وخِدمتهم الصّعبة"**. بعبارة أُخرى: **إذا أردتَ ان تُحسّن من الحالة الروحيةٍ لِقومٍ فإنه ينبغي عليكَ أوّلاً أن تُحسّنَ وضعَهم الماديّ**، وهذه القاعدةُ تُمثّل جانباً من أهمّ الجوانبِ الإنسانية في الديانة اليهودية.

وقد أكّدَ الحاخام الكبير موشيه/موسى بن ميمون على هذه النقطة في كتابه الشهير "دلالة الحائرين"[1]، موضِّحاً بأن التوراة لها غايَتانِ رئيسيتان: الغايةُ الاوّلى هي سَلامةُ الرّوح، والغاية الثانية هي سلامةُ الجَسَد. وبالنسبة لسلامة الرّوح فهي تمثّل جانباً روحانياً داخلياً، أما سلامةُ الجسدِ فتتطلّبُ مُجتمعاً قوياً واقتصاداً مُزدهراً وسيادةً للقانون واقتساماً للأدوارِ والأعمال وتطويراً لحالة التبادل التجاري وغيرها من النواحي المادية الهامة في الحياة. بالتالي فإن سلامة الجسدِ تتحقّقُ حينما نُلبّي الاحتياجات المادية في حياتنا، لكن في الوقت نفسه لا يمكنُ لأحدنا أن يُلبّي هذه الاحتياجاتِ وحيداً، فلكل منّا تخصّصهُ في هذا العالم، لهذا نتبادلُ المهامَ والوظائف والأدوار، مما يجعلنا بحاجة إلى مجتمعٍ صالحٍ وقويّ وعادلٍ حتى نلبّي هذه الاحتياجات.

من ناحية أخرى، يوضّحُ الحاخام موشيه بن ميمون بأن الاحتياجات الروحيّة للإنسانِ تعتبرُ أسمى وأرقى بكثير من الاحتياجات والإنجازات المادّية، لكن يجبُ علينا تلبيةُ تلك الاحتياجاتِ المادّية أوّلاً لأنّ "الإنسان الذي يُعاني من الجوع والعطشِ أو البردِ والحرارة لا يُمكنهُ استيعابُ أي فكرةٍ حتى لو قام آخرون بإيصالها له، بل وستكون عمليةُ التفكير أكثرَ صعوبة عندما يمرّ المرءُ بظروفٍ مُماثلة". بمعنى آخر، عندما لا نجدُ احتياجاتنا المادّية الأساسية، فإنه سيكون من المستحيل علينا أن نَرتَقي ونَسموَ روحياً. وهذا كان حالُ بني يسرائيل حينها، فعندما تكونُ ظروف العمل قاسية ومُرهقة جداً فإن أرواحهم ستكون مُنكسرة جداً هي الأخرى، بالتالي لن يُصغي أيّ منهُم لأي كلمة يقولها أي رسولٍ أو نبيّ، لهذا **إذا أردتَ أن تُحسّن من الحالة الروحيةٍ لقومٍ فإنه ينبغي عليكَ اوّلاً أن تُحسّنَ وضعَهم الماديّ.**

وقد صِيغَت هذه الفكرة بأسلوب كلاسيكيّ في التاريخ المُعاصر على يد اثنين من عُلماء النفس اليهود من مدينة نيويورك، العالم أبرهام ماسلو (1908م – 1970م)، والعالم الثاني هو فريدريك هيرزبرج (1923م – 2000م)، حيث تأثّرَ أبرهام ماسلو كثيراً بمسألة عجزِ الكثير من البشر عن تحقيق ما باستطاعتهم تحقيقه فِعلاً، كما آمنَ بأنّ علم النفس لا يجب أن يُركّز على مسألة إيجاد العِلاج المُلائم لكل مرضٍ نفسيّ فحسب، بل يجب أن يُركّز أيضاً على موضوع التقدّم الإيجابي للصحّة النفسية، وهو ما آمنَ به مارتن سيليغمان واضعُ أساس علم النّفس الإيجابيّ. ومن الجدير بالذكر أن أبرهام ماسلو هو صاحب مُساهمة بارزة في التاريخ البشري، ألا وهي "هرمُ ماسلو للحاجاتِ الإنسانية".

وباعتبارنا بشراً، فإننا لسنا مُجرد تشكيلة من الرغبات والشهوات فقط، بحيثُ يوجدُ تسلسلٌ واضحٌ لحاجاتِنا الإنسانية، وهذا ما صنّفه ماسلو في المُستويات الخمسة من ذلك الهرم: **المُستوى الأول يتمثّل في الحاجاتِ الفسيولوجية** (الحاجات الجسدية والوظائفية)، والتي تتمثل في الحاجة للطعام والمأوى وغيرها من الحاجات الأساسية للإنسان حتى يظلّ على قيد الحياة. **والمستوى الثاني يتعلّق بحاجة الإنسان للأمان**، فالإنسان بحاجة لحماية من الخطر الذي يتعرّضُ له من الآخرين. أما **المستوى الثالث فيتعلّق بالاحتياجات الاجتماعية**، والتي تتمثّل بحاجة الإنسان **للحُبّ والانتماء**. والمستوى الرابعُ يتعلّقُ بـ **حاجة الإنسان للاعترافِ والتقدير**، والذي يتمثل في تقدير المرء لذاته وشعوره بالتّقدير والاعتراف من الآخرين. والمستوى الذي يتربّع على عرش الحاجات الإنسانية جميعها هو **تحقيق الذات**: أي تحقيق الإنسان لأقصى إمكانياته، بمعنى أن يصبح الشخصَ الذي يشعر به، والشخصَ الذي يجب عليه أن يكونه. وخلال سنوات حياته الأخيرة أضاف ماسلو مستوىً آخر في قمة ذلك الهرم: **الحاجة للارتقاء والسّموّ الذاتيّ**، ويقصدُ به حاجة الإنسان للسموّ والارتقاءِ عبر الإيثار والعلوّ الروحانيّ.

وقد قام العالم فريدريك هيرزبرج بتبسيط هذا الهرم عبر تقسيم جميع تلك المُستويات إلى قسمين اثنين: الحاجات المادية والحاجات الروحية، حيث أطلق على الحاجات المادية للإنسان اسم "حاجاتُ آدم"، في حين أطلق على الحاجات الروحيّة اسم "حاجات أقرهام/إبراهيم".

كما كان فريدريك مُهتماً على نحو خاصٍ بالعوامل التي من شأنها تحفيزُ العُمّال من أجل العمل، وما توصّل إليه نهاية خمسينيات القرن الماضي هو أن النقود والرواتبِ والحوافز المالية أيا كانت أشكالها ليست الحافز الوحيد للعمل (وهي بالمناسبة فكرة أعاد عالم الاقتصاد الأمريكي الإسرائيلي دان أرئيلي إحياءَها مُؤخّراً). فالزيادةُ في الأجر ليست بالضرورة سبباً كافياً لجعلِ العُمّال والموظفين يعملون بطريقة أفضل أو بجهد أكبر ولا حتى بشكلٍ أكثر إبداعاً، لأن المال يحفّزهم للقيام بذلك حتى مستوىً معيّن فقط. ولكن في مرحلة معينة يفقد المال تأثيره عليهم.

أمّا الحافزُ الحقيقي لجميع ما ذكرناه فهو وجود تحدٍّ معيّن يمنح العامل فرصةً للنمو والتطور والإبداع وإيجاد معنىً في العمل الذي يقوم به، بمعنى آخر فإن الحافز الحقيقي هو جعل المرء يستثمر مهاراته العُليا من أجل تحقيق غاية عُليا وهدفٍ سامٍ في حياته. إن المال يُلبّي "حاجات آدم" في حياتنا، في حين أن المَعنى يُلبّي "حاجات أقرهام" في حياتنا.

وبناءاً على هذه الأفكار يتّضح لنا وجودُ حقيقةٍ تنبّه لها اليهودُ والتزموا بها منذ الأزل، وكان التزامهم بها أكثر من التزام أي حضارة بشرية أو ديانة أخرى عرفها التاريخ، فالغالبية العُظمى من الديانات والمُعتقدات تقوم على أساس ثقافة القُبول والتّسليم، فعلى سبيل المثال لا الحصر يُعاني العالمُ من الفقر والجوع والأمراض لأن مشيئة الله عزّ وجل أرادت ذلك، فهذه هي سُنّة الحياة التي خلقَ الله بها الحياة وهذه هي مشيئته. وفي خضمّ ذلكَ يُمكننا أن نجدَ السّعادة والهناء والنّشوةَ، لكن حتى نجدها ينبغي علينا أن نهرُبَ في خيالنا من هذه المآسي، فالبعض يفعلُ ذلك عن طريق التأمّل أو الانعِزال والاعتكاف في بيتٍ للعبادة، والبعضُ مع الأسف يفعلُ ذلك عن طريق تعاطي المخدرات بأنواعها، في حين يجدُ البعضُ الآخر ضالّته في الهروب من الواقع عبر انتظار النعيم الذي سيكون من نصيبه في الحياة الآخرة.

وبشكل عام يُمكننا القول بأن الأديان والمُعتقدات الروحية تُشكّل مُخدّراً يُساعدنا على احتمال الألم، لكن الديانة اليهودية ليست كذلك على الإطلاق، فعندما يتعلّق الأمر بالفقر والألم في هذا العالم، فإن دور الديانة اليهوديّة هو الاعتراضُ لا القُبول، لأن الله عزّ وجلّ لا يريدُ للبشرِ أن يكونوا جهلة أو فقراء أو مرضىً أو جياعاً أو مُضطهدين أو مسلوبي الحُقوق، فهُم خُلفاءهُ على هذه الأرض، بالتالي يريدُ منّا أن نكونَ شُركاءهُ في العملِ من أجل الخلاص. ولهذا السبب تحديداً نرى الكثير من اليهود قد أصبحوا أطباءَ يُحاربون المرض، ومحامين يُحاربون الظّلم، أو معلّمين يُحاربون الجهل، وهو السبب ذاته الذي جعلهم روّاداً في عالم الاقتصاد وجعلهم يحصدون العديد من جوائز نوبل، وهذا ما وضّحهُ ميخائيل نوفاك في كتاباته مُقتبِساً من كلام إرفنج كرستول:

> "لطالما كان الفكر اليهوديّ في حالة انسجام تامّ مع العديد من الشؤون الحياتيّة الدنيوية، في حين أن الفكر المسيحيّ كان يركز على الشؤون الأُخروية والحياة ما بعد الموت. فالفكرُ اليهوديّ يقوم على توجّه واضح وصريح فيما يخصّ مسألة الملكيّة الخاصة، في حين أن الفكر الكاثوليكيّ المسيحيّ (المُستَمَدّ من الفكر القديم للقساوسةً والرهبان) كان يُحاول باستمرار توجيه انتباه أتباعه بعيداً عن شؤون الحياة الدنيا والتركيز على شؤون الحياة الآخرة. ونتيجة لذلك، وتبعاً لتعاليم علمائهم ورُسُلهم وأنبيائهم، فقد شعرَ اليهود بأنهم موجودون في مكانهم المناسب على هذه الأرض في هذا العالم، بينما ظلّ الكاثوليك يشعرون بأنهم يعيشون في عالم مؤقت، وأن هذا العالم هو مُجرّد مكان للإغواءات الشيطانية، وبأنه مجرد مكانٍ يُشتت تركيزهم عن العمل الحقيقي الذي يتوجب عليهم القيام به، ألا وهو تحضيرُ أنفسهم للحياة الآخرة". [2]

إن الله عزّ وجلّ موجودٌ في هذا العالم أيضاً، لا في العالم الآخر فقط، لكن بالنسبة لنا نحنُ اليهودُ فإنه يتوجّبُ علينا أن نُشبع حاجاتِنا الدنيويّة أولاً حتى نرتقي روحياً. وبالنسبة لنا فإن أقرهام كان أكثر عظمةً من آدم، لكن في الوقت نفسه علينا ألا ننسى أن آدم جاء إلى هذا العالم قبلَ مَجيء أقرهام. وعندما يكون العالمُ المادّي قاسياً فإن العالم الروحاني للبشر سيكونُ محطّماً مُنكسراً، وحينها سيكون من الصعب على البشر الإصغاءُ إلى ما يُريدنا الله عزّ وجل أن نُصغي إليه، حتى لو كان ذلك عن طريق أحدِ رُسُله أو أنبيائه كموشيه. وهُنا أستذكر ما قاله الحاخام الكبير ليفي يتسحق من بيردوتشيف في هذا السياق: **"لا تُفكّر بالحالةِ الروحيّة لشخصٍ آخر ولا بالحاجةِ الماديّة لجسدك، بل فكّر بِحالتِكَ الروحيّة وبالحاجةِ المادّية لشخصٍ آخر".**

إن القضاء على الفقرِ وإيجاد علاج للأمراض وتطبيق القانون واحترام حقوق الإنسان جميعُها أمورٌ روحانيّةٍ بالدرجة الأولى، ولا تقلّ في أهميتها الروحية عن الصلوات والأدعية ودراسة التوراة. ولأكونَ دقيقاً أكثر، فإن الصلوات والأدعية ودراسة التوراة هي أمور تَسمو في روحانيّتها فوق جميع ما ذكرته آنفاً، لكن جميع تلك الأمور تعتبرُ أموراً ضرورية جداً حتى تتحقّق الروحانية، فالبشرُ لن يصغوا لرسالةِ اللهِ عز وجلّ حين تكون الأرواح مُنكسرةً مُحطّمة، وحين تكون ظروف معيشتهم وعملهم قاسية.

---

1. كتاب الحاخام موسى/موشيه بن ميمون "دلالة الحائرين"، المجلد الثالث صفحة 27.
2. مايكل نوفاك: Michael Novak, *This Hemisphere of Liberty* (Washington, DC: American Enterprise Institute, 1990), p. 64

حَولَ مائِدةِ يومِ السّبتِ المُقَدَّسِ: أسئِلةٌ لِلتّأمُلِ

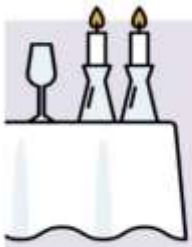

1- أيّ هذين الأمرين أكثر أهمية بالنسبة لك: سلامتك الجسدية أم سلامتك النفسية والعاطفية والروحانية؟
2- هل تهتمّ الديانة اليهودية بالسلامة الجسدية والروحانية على حدٍ سواء؟ لماذا؟
3- كيف نستطيع ان نكون ناشطين لمساعدة الناس على تحسين صحتهم وسلامتهم الجسدية والروحانية؟

● These questions come from this week's Family Edition to Rabbi Sacks' Covenant & Conversation. For an interactive, multi-generational study, check out the full edition at **https://www.rabbisacks.org/covenant-conversation-family-edition/vaera/spirits-in-a-material-world/**

Arabic Translation by *The Connecting Hamza NGO*
Sponsored by *The Sir Naim Dangoor Centre for Universal Monotheism*, *Bar Ilan University*